# التّناصُّ في شعرِ ابنِ المُعتزِّ

**جميل عصعوص*، عيسى علي العاكوب****

*طالب دراسات عليا(ماجستير)، قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة حلب

**قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة حلب

## الملخص

يسلّط البحثُ الضّوءَ على مفهومِ التّناصِّ في شعر عبدِ الله بن المعتزِّ، فقد استقى الشّاعرُ من القرآن الكريمِ ومِنَ الشّعرِ العربيِّ بعضَ ألفاظ شعرهِ ومعانيه.

وقدّم البحثُ وصفًا لهذه الجزئيّة من النّاحية البلاغيّة والأسلوبيّة، فتناولَ تعريفَ التّناصِّ لغةً واصطلاحًا، وتحدَّثَ عن تأصيلٍ للمصطلحِ وعن جذورِهِ في الأدبِ العربيِّ القديم، ثمَّ تكلَّم على ظهورِهِ في السّاحةِ النقديّةِ الغربيّةِ، وختمَ القسمَ النّظريَّ بحديثٍ عن جهودِ الدَّارسينَ العرب في دراسةِ ظاهرةِ التّناصِّ.

ثمَّ انتقلَ البَحثُ في الجانبِ التّطبيقيّ إلى الحديث عن النّماذجِ الشّعريّةِ التي استقى الشَّاعرُ منها مادَّتهُ، لفظًا أو معنًى أو كليهما معًا، من القرآنِ الكريمِ بدايةً، ثمَّ منَ الشّعرِ العربيِّ، وتبيَّنَ أنَّ الشَّاعرَ ينقلُ أحيانًا بالمعنى، ويلجأ أحيانًا إلى التَّحوير، فيأخذ اللّفظَ ويسخّرهُ لخدمةِ نصّهِ. وتبيَّنَ للباحثِ أنَّ القرآنَ الكريمَ كانَ وما زالَ وسيظلُّ إلى الأبدِ الكتابَ المعجِزَ، وذروةَ الفصاحةِ والبيانِ، ومَعينَ استمدادِ الشّعراء وإفادتهم منهُ، وأنَّ الشِّعرَ العربيَّ الذي سبقَ عصرَ ابنِ المعتزِّ أو عاصرَهُ كانَ مصدرَ إلهامٍ لهُ أيضًا.

وتَبَعًا لذلكَ عرّجَ البحثُ على استفادةِ ابنِ المعتزِّ مِنهُ لعلَّهُ يكسِبُ نصَّهُ صِفةَ القوّةِ البيانيّةِ، ويوصلُ به ما أرادَ إيصالَهُ إلى المتلقِّي بأيسرِ طريقٍ.

**الكلمات المفتاحية:** قرآن، تناص، ابن المعتز

ورد البحث للمجلة بتاريخ 9 / 5 /2019

قبل للنشر بتاريخ 2/ 9 /2019

**المقدمة:**

ظهرَ في السّاحةِ النّقديّةِ العديدُ منَ المصطلحاتِ التي أثارتْ اهتمامًا كبيرًا عندَ النُّقَّادِ، ومنْ هذهِ المصطلحاتِ مصطلحُ التّناصّ، الذي بدأ ظهوره عندَ الباحثةِ البلغاريّةِ جوليا كرستيفا في ستّينيّاتِ القرنِ العشرين، ثمَّ تَناقلهُ الدّارسونَ العربُ من بعدِهَا، وأخذوا يدرسونَه تنظيرًا وتطبيقًا، ومحاولينَ تأصيلهُ والبحثَ عن جذورهِ في التّراثِ النّقديِّ العربيِّ القديمِ، لكن ليسَ بالمفهوم الحرفيِّ الذي عرضَهُ أصحابُ مصطلحِ التّناصّ، بلْ بمدلولاتِه وفَضاءاتِهِ بطريقةٍ أو بأخرى.

ولتوضيحِ مفهومِ مصطلحِ التّناصّ لا بدَّ من ربطِهِ بما يأتي:

- بالتّراثِ النّقديِّ العربيِّ القديمِ.
- بالنّقد الغربيِّ.
- بالنّقدِ العربيِّ الحديثِ.

ويتكوَّنُ البحثُ الذي بينَ أيدينا من قِسْمَينِ:

أوّلًا–التّناصُّ لغةً واصطلاحًا

ثانيًا–دراسةٌ تطبيقيّةٌ في تناصِّ ابنِ المعتزِّ تقفُ عندَ أمرَينِ:

1– التَّناصُّ في إفاداتِ ابنِ المعتزِّ في شعرِهِ منَ القرآنِ الكريمِ.

2– التَّناصُّ في إفاداتِ ابنِ المعتزِّ في شعره من الشِّعرِ العربيِّ.

**أوّلًا–التّناصّ لغةً واصطلاحًا**

- **التّناصّ في اللّغة:**

لعلَّ ((التّناصَّ)) لُغَةً يرجعُ إلى المادّةِ ((نصص)). وإذا تتبّعنَا أصلَ معنى المادَّةِ في لسانِ العربِ وجدناها تعني الرّفعَ. فالنّصُّ رفعُكَ الشّيءَ، ونصَّ الحديثَ ينصُّهُ نَصًّا رَفَعَه. وكلُّ ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ. وتعني أيضًا: منتهَى الأشياءِ ومبلغَ أقصاها.

وقد وردَ النَّصُّ بمعنَى الإظهارِ: في قَوْلِهِمْ نَصَصْتَ المتاعَ، إذا جَعَلْتَ بَعْضَهُ

عَلَى بَعْضٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ أَظْهَرْتَه، فَقَدْ نَصَصْتَه. كما وردَ بمعنى الاتّصالِ أيضًا [1].

النَّصُّ يحملُ معنَى الرَّفعِ والإظهارِ والاتّصالِ، ولم يردِ (التَّناصُّ) في معجمِ لسانِ العربِ. أمّا في معجم القاموس المحيط فقد ورد معنى (نصصَ) بقوله: "نصَّ الحديثَ إليهِ: رفعَهُ...ونصَّ الشَّيءَ: حرَّكَهُ وأظهرَهُ "[2]

وبالنسبة للمعاجمِ الحديثةِ فقد وردَ في المعجم الوسيط تناصَّ القومُ: بمعنى ازدحموا [3].

ويبدو من صيغةِ (التَّناصِّ) التي تدلُّ على التَّفاعلِ أنَّهُ يعني في اللّغةِ تزاحمَ النَّصِّ مع نصوص سابقةٍ.

**التّناصّ اصطلاحًا:**

يُعَدُّ التّناصُّ من المصطلحاتِ الحديثةِ في الكتاباتِ النّقديّةِ العربيّةِ، ويعني إفادةَ نصٍّ متأخِّرٍ مِن نصٍّ متقدّمٍ. وهوَ وسيلةٌ لإغناءِ النّصّ بفَتْحِهِ على نصوصٍ أخرى. ولعلَّ بدايةَ ظهورِهِ كانتْ في كتاباتِ (باختين) من خلالِ كتابِهِ (الماركسيَّةُ وفلسفةُ اللّغةِ) عندما تحدَّثَ عن "تداخلِ السِّياقاتِ" وعنِ "المبدأ الحواريِّ" وأعطى دليلًا على وجودِ علاقةٍ بين نصٍّ حاضرٍ ونصٍّ غائبٍ يكوِّنانِ معًا نصًّا جديدًا يتَّسمُ بدِلالاتٍ جديدةٍ.

أمَّا إذا تتبَّعنَا الظهورَ الحقيقيَّ للفظِ المصطلحِ فإنَّنَا نجدُهُ تحقَّقَ على يدِ (جوليا كرستيفا) التي رأتْ أنَّ النّصَّ " جهازٌ عَبْرُ لسانيٌّ يعيدُ توزيعَ نظامِ اللّسانِ بواسطةِ الرّبطِ بين كلامٍ تواصليٍّ يهدفُ إلى الإخبارِ المباشرِ بين أنماطٍ عديدةٍ من الملفوظاتِ السّابقةِ عليهِ أو المتزامنةِ معهُ "[4].

---

[1] – ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، مادّة (نصص)

[2] – الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817): **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة 1426هـ-2005م، مادة نصص، ص632.

[3] – ينظر: مجمع اللّغة العربيّة: **المعجم الوسيط**، الطّبعة الثّالثة، القاهرة-مصر،1993م، مادّة (نصص)

[4] – كرستيفا، جوليا: **علم النّصّ**، ترجمة: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، الطّبعة الثّانية، دار طوبقال للنّشر، الدّار البيضاء-المغرب، 1997م، ص21.

فالنّصّ بحَسَبِ رأيِهَا إنتاجٌ جديدٌ من خلالِ إعادةِ الكلامِ وربطِ بعضِهِ ببعضٍ بهدفِ توصيلِ فكرةٍ جديدةٍ.

وأوضحَ (رولان بارت) في نظريَّتِهِ ((موتُ المؤلّفِ))، أنَّ المؤلِّفَ لم يعد مبدعًا وعظيمًا وخلّاقًا ومبتكرًا، وإنّمَا يُنتجُ نصَّهُ من ثقافاتٍ مختلفةٍ متراكمةٍ عندَهُ، حيثُ يصبحُ الكاتبُ حَسَبَ تعبيرِ رولان بارت مَجْمَعًا للنّصوصِ السّابقةِ عليهِ من ثقافاتٍ مختلفةٍ، فالتّناصّ بزعمِهِ هوَ قَدَرُ كلِّ نصٍّ [1].

ويبدو أنَّ مصطلحَ التَّناصَّ قد ظهرَ متأخّرًا في البلدانِ العربيّةِ، إذْ بدأَ الاهتمامُ بهِ في أواخرِ السّبعينيّاتِ منَ القرنِ العشرين معَ نقّادٍ مغاربةٍ ولبنانيّينَ، كالنَّاقدِ (محمَّد مفتاح) مِن خِلالِ كتابِهِ "تحليلُ الخطابِ الشِّعريِّ–استراتيجيَّةُ التَّناصّ". والنّاقدُ (سعيد يقطين) الذي أطلقَ على التّناصِّ اسمَ (التّفاعل النّصّيِّ)، حيثُ رأى أنَّ التَّفاعلَ النّصّيَّ أعمُّ وأشملُ منَ التّناصِّ[2].أمَّا النّاقدُ الجزائريُّ (عبد الملك مرتاض) فيعرّفُ مصطلحَ التّناصِّ بقولِهِ:" هوَ الوقوعُ في حالٍ تجعلُ المبدعَ يقتبسُ أو يضمّنُ أفكارًا كانَ قدِ التهَمَها في وقتٍ سابقٍ دونَ وعيٍ صريحٍ بهذا الأخذِ المتسلّطِ عليهِ من مجاهلِ ذاكرتِهِ ومتاهاتِ وعيِهِ"[3]، فنرى هنا أنَّ عبدَ الملكِ مرتاض يعودُ بالتّناصّ إلى جذورِهِ العربيّةِ من اقتباسٍ وتضمينٍ، وأنَّ الكاتبَ يسترجعُ النّصوصَ السّابقةَ في نصّهِ الحاليِّ دونَ وعيٍ منه.

ومِن جانبٍ آخرَ اهتمّتِ المجلّاتُ العربيّةُ بمصطلحِ التَّناصِّ، فكانتْ رؤيةُ بعضِ الكُتَّابِ فيها أكثرَ وضوحًا مع محاولةِ رَبْطِ المصطلحِ الحديثِ بالموروثِ النّقديِّ من خلالِ الموازنةِ والتّفريقِ بينَ التّناصِّ والمصطلحاتِ القريبةِ منهُ كالاقتباسِ

[1] – ينظر: بارت، رولان: **نقدٌ وحقيقةٌ**، ترجمة: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاريِّ، المغرب، الطّبعة الأولى 1994م، ص24–25

[2] – ينظر: يقطين، سعيد: **انفتاح النّصّ الرّوائيّ–النّصّ والسّياق**–، المركز الثّقافيُّ العربيُّ، الدّار البيضاءُ– المغرب، الطّبعة الثّالثةُ، 2006م، ص97–98.

[3] – مرتاض، عبد الملك: **فكرة السّرقات الأدبيّة ونظريّة التّناصّ**، مجلّة علامات، جدّة–السّعوديّة، المجلّد الأوّل، أيّار 1991م، ص87.

والتّضمينِ وغيرِهِمَا [1].

يتبيَّنُ لنا أنَّ أغلبَ النّصوصِ لا تخلو من تناصٍّ، وفي تصوّرِ بعضِ النّقّادِ فإنَّ كلَّ نصٍّ تناصٌّ، وكلَّ نصٍّ هوَ مُقتبسٌ وآخذٌ من نصوصٍ أخرى بوعيٍ أو بدونِ وعيٍ، وهذا لا يعني أنَّ النّصَّ سرقةٌ أدبيةٌ، ولكنّهُ تداخلٌ وتأثّرٌ بمنهجٍ سابقٍ، وتأثيرٌ بنصوصٍ لاحقةٍ.

**ثانيًا-دراسةٌ تطبيقيّةٌ**

سنقفُ هنا عند مظهرَينِ للتَّناصِّ في شعر ابن المعتزِّ [2] (ت296هـ):

---

[1]– داوود كاك، عبد الفتّاح: **التّناصّ دراسةٌ نقديّةٌ في التّأصيلِ لنشأةِ المصطلحِ ومقاربته ببعض القضايا النّقديّة القديمة**، دراسة وصفيّة تحليليّة، (د.ت) ص 7.

[2] – هو عَبدُ اللهِ بن المعتزِّ بنِ المتوَكِّلِ بنِ المعْتَصِمِ بنِ هَارُوْنَ الرَّشِيدِ بنِ المهدِيِّ بنِ المنصُورِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المطّلِبِ بنِ هَاشِمٍ، ولد بسامرّاء عام(247هـ)، أمضى فَتْرَةَ شَبَابِهِ مَعَ جَدَّتِهِ قَبِيحَةَ التي أَشْرَفَتْ عَلَى تَعْلِيمِهِ وَاخْتِيَارِ الأَسَاتِذَةِ لَهُ حَتَّى وَفَاتِهَا (264 هـ)، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي سَامَرَّاءَ ثُمَّ أَخَذَ يَتَرَدَّدُ عَلَى بَغْدَادَ وَمَجَالِسِهَا العَامَّةِ، عَاشَ حَيَاتَهُ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسِةِ، مُنْغَمِسًا فِي الشِّعْرِ وَالأَدَبِ، مُتَفَرِّغًا لهما، وَمع ذَلِكَ لَمْ يَنْفَصِلْ عَن حَيَاةِ القُصُورِ وَالتَّرَفِ فَقَدْ أَخَذَ مِنْ مَتَاعِ الحَيَاةِ بِنَصِيبٍ غَيْرِ قَلِيلٍ. تحلّى بصفاتٍ خُلُقيّةٍ عاليةٍ، وذلكَ لأنّهُ تربّى في بيئةٍ علميّةٍ، وجوٍّ منَ الدّلالِ الملوكيِّ، فاتّصفَ بالمروءةِ والشّهامةِ والعدلِ، وتَعَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ العِلْمِ وَالأَدَبِ عَلَى أَيْدِي أَئِمَّةِ العَرَبِيَّة؛ فَكانَ لَهُ فِيْ أَوَائِلِ حَيَاتِهِ أَسْتَاذَانِ: أَسْتَاذٌ مِنْ بَيْتِهِ وَهُوَ أَبُوْهُ الذِي كَانَ يُدَرِّبُهُ عَلَى نَظْمِ الشِّعْرِ، وَأَسْتَاذٌ مِنْ غَيْرِ بَيْتِهِ هُوَ البُحْتُرِيُّ. وَفِي هَذَا المجَالِ يَقُولُ عَنْهُ يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ (ت 626 هـ): وَقَدْ لَقِيَ طَائِفَةً مِنْ جِلَّةِ العُلَمَاءِ كَأَبِي العَبَّاسِ المبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ، وَتَأَدَّبَ عَلَيْهِمَا، وَلَقِيَ أَبَا عَلِيٍّ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ العَنْزِيَّ، وَرَوَى عَنْهُ شِعْرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُم أَبُو بَكْرٍ الصُّولِي . ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولم يلبث يومًا واحدًا حتّى هجمَ عليهِ غلمانُ المقتدرِ باللهِ وقتلوهُ في عام (296 هـ،909م). وقال عنه ابن رشيق: وما أعلمُ شاعراً أكمل، ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز؛ فإنَّ صَنْعَتَهُ خفيةٌ لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر، وهو عندي ألطفُ أصحابِه شعراً، وأكثرُهم بديعاً وافتناناً، وأقربُهم قوافيَ وأوزاناً، ولا أرى وراءه غايةً لطالبها في هذا الباب. وهو يرى أنَّ علم البديع والصنعة فيه انتهيا إليه، وخُتما به. وابن المعتز كان ممن فُتِنوا بالتشبيه، وشهد له النقاد بالبراعة فيه، ولاحظوا أنَّه عكس فيه حياته المترفة. ينظر: خفاجي، محمد عبد المنعم: **ابن المعتزّ وتراثه في الأدب والنقد والبيان**، مكتبة الحسين التجارية، الطبعة الأولى، 1949م، ص32–36. ينظر أيضًا: الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء**، تحقيق: د. إحسان عباس، ط1 بيروت، دار الغرب الإسلامي 1993، ج4، ص154.ينظر أيضًا: ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت456هـ: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة 1401هـ–1981م،الجزء الأول، ص130.

**1- التَّناصُّ في إفاداتِ ابنِ المعتزِّ في شعرِهِ منَ القرآنِ الكريمِ.**

يعدُّ القرآنُ الكريمُ مصدرًا غنيًّا للإلهامِ الشّعريِّ على مستوى الدِّلالةِ والرُّؤيةِ، ذلك أنَّ استحضارَ الخطابِ الدِّينيِّ في الخطابِ الشِّعريِّ يعني إعطاءَ مصداقيَّةٍ وتميُّزٍ لدلالاتِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ، انطلاقًا من مصداقيّةِ الخطابِ القرآنيِّ، وقداستِهِ وإعجازِهِ[1].

ولعلَّ قارئَ شعرِ ابن المعتزِّ يلحَظُ تداخلَ نصوصِهِ في مواضعَ متعدّدةٍ مع القرآنِ الكريمِ تحديدًا، وقد أضْفَتِ الإفادةُ من القرآنِ الكريمِ على لغةِ الشّاعرِ شيئًا من الرّصانةِ والعمقِ والفاعليّةِ في التَّأثيرِ بالمتلقّي. وسأعرضُ بعضَ النَّماذجِ التي استقى فيها ابنُ المعتزِّ صورَهُ، وكانتْ من كتابِ اللهِ سبحانَهُ توخِّيًا للإيجازِ:

وفي قصيدةٍ لابنِ المُعتزِّ في تصويرِ جمالِ محبوبتِهِ مخاطبًا إيَّاها بصيغة المذكَّرِ لعلَّهُ أرادَ عدمَ التَّعريضِ للمحبوبةِ والإشهار بها يقولُ:

**الوردُ في خدّهِ، والدرُّ في فيهِ والسّحرُ مملوءَةٌ منهُ مآقيهِ**

**زَهَا وصدَّ بلا جُرمٍ ولا سببٍ فما يكلِّمُني للكِبْرِ والتِّيهِ**

**قالَ العواذلُ إذْ أبصرْنَ طلعَتَهُ ماذا منَ الأنسِ يَحميهِ ويَفديهِ**

**فقلتُ والشَّوقُ يطويني، وينشُرُني فذلكنَّ الذي لمتنَّني فيهِ [2]**

نلاحظُ هنا أنَّ الشّاعرَ استعملَ التّناصَّ فأدخلَ في نصِّهِ شيئًا منَ النَّصِّ القرآنِيِّ الكريمِ على نحوٍ مباشرٍ، وذلك باقتطاعِ جزءٍ من آيةٍ، وجعلِه عَجُزًا تامًّا للبيتِ الأخيرِ من أبياتِهِ الأربعة.

حيثُ يقولُ تعالى: ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ**

[1] – جربوع، عزّة: **التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر**، مجلة فكر وإبداع، مصر، العدد13، ص134.

[2] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي**، تح: محمد بديع شريف، دار المعارف، مصر، الجزء الأول،1977م، ص438-439.

**كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾**[1]

وقد بدأَ الشّاعرُ بوصفِ محبوبتِهِ، فخدّاها كالوردِ حمرةً، وأسنانُها كالدُّرَرِ، وعيناها ممتلئتانِ بالسِّحرِ. إضافةً إلى هذهِ الصّفاتِ، هي كثيرةُ الزَّهْوِ والصُّدودِ، ولا تكلِّمُهُ كِبْرًا وتيهًا. فلمَّا أبصرَ اللّائمونَ طلعتَها قالوا: أيُّ شيءٍ منَ الأُنْسِ هذا الذي يحميه ويفديهِ؟ فقال لهؤلاء اللَّائمين وقد استبدَّ به الشَّوقُ: فذلكنَّ الذي لمتنَّني فيه.

وقدِ اقتبسَ الشّاعرُ اللفظَ والمَعنى منَ الآيةِ القرآنيّةِ، التي تبرّرُ فيها زَليخا للنّسوةِ اللّائماتِ لها تعلّقهَا بنبيِّ الله يوسفَ، عليه السلامُ، الذي أحبّتهُ حبًّا قاتلًا، فدعت النّسوةَ إلى تناولِ الفاكهةِ وأعطتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكّينًا، وخبَّأتْ سيّدنَا يوسفَ –عليه السَّلام– في مكانٍ محدّدٍ، وبعدَها أمرتْهُ بالدّخولِ، فما كانَ منَ النّسوةِ إلَّا أنْ قطّعْنَ أيديهنَّ بالسَّكاكينِ التي كانتْ في أيديهنَّ، لأنَّهنَّ لم يرينَ قبلُ أحدًا منَ البشرِ بهذا الجمالِ، وحينَذاكَ قالتْ لهنَّ زَليخا:﴿ **فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾، أي: ذلكَ الفائق الجمالِ هو الذي لمتنَّني بتعلُّقي بهِ.

ولعلَّ ابن المعتزِّ شاءَ بهذه الإفادةِ من نصِّ القرآنِ الكريمِ أن تعبِّرَ عن درجةٍ خارقةٍ للعادةِ من جمال محبوبته. واستطاعَ بهذا التفاعلِ النَّصِّيِّ أن يُفيدَ من جملةِ الرِّواية القرآنيَّةِ، ومنَ الاحتفاءِ بها في تاريخِ التَّعاملِ معَ القرآنِ الكريمِ.

- يقولُ ابنُ المعتزِّ في أرجوزتِهِ في مدح المعتضدِ بالله:

**والله يؤتي الفضلَ منْ يشاء بكلِّ شيءٍ سبقَ القَضَاء** [2]

فإنَّ الله سبحانَهُ يؤتي نِعَمَهُ وفَضْلَهَ مَن يشاءُ من عبادِهِ، ولا يحولُ بينَهُ وبينَ ذلكَ حائلٌ. وهذا العطاءُ الإلهيُّ قضاءٌ قديمٌ ثابتٌ في عِلْمِ اللهِ سبحانَهُ. ويستعملُ الشَّاعرُ هنا التَّناصَّ، إذْ إنَّ قولَهُ: (والله يؤتي الفضلَ مَنْ يشاء) ناظرٌ إلى قولِهِ تعالى:﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ**

[1] – **سورة يوسف:** 31–32.

[2] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الثاني، ص24.

**الْـعَظِيمِ** ﴾[1]. ويؤدِّي هذا التَّناصُّ مع القرآنِ الكريمِ وظيفةً كبيرةً في تجميلِ نصِّ الشَّاعرِ وتقويةِ الحُجَّةِ فيهِ، وإكسابه طابعَ الحكمةِ.

– يقولُ ابنُ المعتزِّ:

**رُدَّ عنِّي كأسَ المُدامِ، خليليْ إنَّ نفسيْ صارتْ عليَّ حَسيبي** [2]

ففي هذا البيتِ يلومُ ابنُ المعتزِّ نديمَهُ وجليسَهُ، ويرفضُ أن يحتسيَ الخمرَ معهُ؛ لأنَّ نَفْسَهُ صارتْ عليهِ حسيبًا، أي: حاسبًا يحسِبُ عليهِ أخطاءَهُ ومُخالفاتِهِ. وجاءَ بعدَ فعلِ الأمرِ بجملةٍ تبدأُ بـ(إنَّ) المكسورةِ الهمزةِ، كما هو شأنُ اللُّغةِ العربيَّةِ في مِثْلِ هذهِ الحالِ. واستحضرَ الفعلَ (صارتْ) وكأنّهُ يريدُ أنْ يخبرَنا أنَّ توبتَهُ قد أعلنَهَا في هذه الجلسةِ، فهو يفكّرُ بالعواقبِ، ويستعملُ مفرداتٍ تذكّرنَا بما وردَ في الآيةِ القرآنيّةِ حيث يقولُ تعالى:﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾[3]، فيقالُ للعبدِ يومَ القيامةِ كما وردَ في الآيةِ السّابقةِ: اقرأْ ما عملتَهُ في الدّنيا، وكتبهُ لكَ كاتبانا، وأحصيناهُ لكَ، فنفسكَ اليومَ هيَ من تحصي لكَ أعمالكَ وتحسبهَا، فلا نريدُ شاهدًا آخرَ عليكَ.

وقد حافظَ الشّاعرُ على سياقِ الآيةِ القرآنيّةِ لفظًا ومعنًى، ولكنّهُ غيّرَ كلمةً واحدةً فحذفَ كلمةَ ((اليوم))، ووضعَ بدلًا منها لفظةَ ((صارتْ))، واستعملَ صيغةَ المتكلّمِ، وذلك لأنَّهُ يقصدُ الحديثَ عن نفسِهِ، بينما تحدثتِ الآيةُ بصيغةِ المخاطبِ لأنَّها موجَّهةٌ إلى كلِّ إنسانٍ.

– ولأنَّ القرآنَ الكريمَ مصدرُ الفصاحةِ والبلاغةِ في آثارِ شعرائِنَا، استلهمَ ابنُ المعتزِّ معانيَ عدّة من آياتِ القرآنِ وقصصِهِ، إذْ نجدُهُ في إحدى طَرْدِيَّاتِهِ يصفُ الصّقرَ بقولِهِ:

---

[1] – **سورة الجمعة:** 4

[2] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الثاني، ص43.

[3] – **سورة الإسراء:** 13–14.

**نارُ لظَـى ثـاقبةُ اللهيـبِ وأجـدلٌ حُـكِّـمَ بالتـأديبِ** [1]

**صبَّ بكفٍّ كـلِّ مُستـجيـبٍ سَـوطَ عذابٍ واقعٍ مَجلوبِ** [2]

فابنُ المعتزِّ هنا في رحلةِ الصَّيدِ يصفُ أدواتِهِ كوصفِهِ الصَّقرَ، ومهارةَ ذلكَ الصَّقر في الانقضاضِ على فريستِهِ بمخالبِهِ، حتى يقضيَ عليها، ويُهرقَ دماءهَا، وقدِ استعملَ الشَّاعر هنا تركيبَ "صبَّ سوطَ عذابٍ"، ليُظهرَ لنا كيفَ يلقي الصّقرُ العذابَ على فريستِهِ، ويجعلُ اللّحمَ يختلطُ معَ الدّمِ من شدَّةِ قوَّتِهِ.

ونلحظُ في النَّصِّ الشِّعريِّ تناصًّا في اللَّفظِ مع القرآنِ الكريمِ في قولِهِ تعالى: ﴿ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَـذَابٍ** ﴾[3]، فسيعذِّبُ اللهُ سبحانهُ المتكبّرينَ والكُفَّارَ بألوانٍ مختلفةٍ من العذابِ، ويُحِلُّ عليهم غضبَهُ الذي لا يردُّ عن القومِ المجرمينَ، فاستعملَ كلمةَ "صبَّ" التي هي خاصّةٌ بالماءِ في هذا المقامِ ليوضّحَ لنا شدَّة التَّعذيبِ وسرعتَهُ، واستعملَ أيضًا كلمة "سوطَ" للعذاب لأنَّه يقتضي من التَّكرارِ ما لا يقتضيهِ السَّيفُ ولا غيرُهُ. وفي عَجُزِ البيت الثَّاني تناصٌّ مع قولِهِ تعالى:﴿**سَـأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾[4].

والشَّاعرُ في استدعائِه للنَّصِّ القرآنيِّ أرادَ إلقاءَ الضَّوءِ على قوَّةِ الصَّقرِ وعذابِهِ الواقعِ على فريستِهِ، فأضفى بذلك على نصّهِ الشّعريِّ قُدرةً بيانيَّةً عاليةً، استمدَّها منَ بيانِ القرآنِ الكريمِ وقوَّتِهِ التَّصويريَّة. ولأنَّ المسلمينَ يقرؤونَ القرآنَ الكريمَ باستمرارٍ، رفدَ النَّصُّ القرآنيُّ نصَّ ابنِ المُعتزِّ بجاذبيَّةٍ وسِحْرٍ واستحضارٍ لِجوٍّ تصويريٍّ مألوفٍ ومُحبَّبٍ.

- ومعلومٌ أنَّ الشَّاعرَ حينَ يستعملُ التَّناصَّ في شعرِهِ يتحرَّرُ من ذاتِهِ، ويُفيدُ من ذواتٍ أخرى، وتجاربَ سابقةٍ لينتجَ نصًّا جديدًا. وممّا يمثِّلُ لذلكَ في شعرِ ابنِ المُعتزِّ قولُهُ:

**يا نديمي فاسقِني الرّا حَ جِـهَارًا واكتتـامـا**

---

[1] – أجدلٌ: الصقر.

[2] – ابن المعتز: **ديوان ابن المعتز**، الجزء الثاني، ص116.

[3] – **سورة الفجر**: 13.

[4] – **سورة المعارج**: 1

**وإذا خـاطـبـكَ الجـا هلُ فيها قُل سَلامـا** [1]

يدعو الشّاعرُ نَديمَهُ في مجلسِ شَرابٍ جديدٍ إلى سَكْبِ الخمرةِ لهُ سرًّا وعلانيّةً فهوَ لا يخافُ من شيءٍ، ولا يردعهُ رادعٌ، ويقولُ لهُ: إذا لامكَ أحدٌ على سَقيِيَ الخَمْرَ، فلا تسمعْ كلامَهُ، ولا تجادله أبدًا، وقلْ لهُ: سلامًا.

ونرى في البيتِ الثّاني تناصًّا مع القرآنِ الكريمِ في قولِهِ تعالى في وصفِ عبادِهِ المؤمنينَ:﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[2]. فيأتي توظيفُ هذا الاقتباسِ الكلّيِّ منَ الآيةِ الكريمةِ بعد أن أجرى الشّاعرُ تحويرًا يتناسبُ والمعنى المناسبِ للسّياقِ الشّعريِّ، إذْ وضّحَ اللهُ تعالى خِصالَ عبادِهِ بأنّهم لا يردُّون الإساءةَ بمثلها بل يعفونَ ويصفحونَ ويردّونَ بمعروفٍ في قولهم عندما يجهلُ عليهم القومُ فقالَ:﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾.

ولكنَّ البيتَ كما نلحظُ يحوِّلُ الخطابَ من الغائبِ إلى المخاطب لأنَّ ابنَ المُعتزِّ إنَّما يخاطبُ نديمَهُ. وقد عبَّرَ عن الجاهلِ بصيغةِ المفردِ بدلًا من الجمعِ وخصَّصَ عتابَ الجاهلِ بكونِهِ في شأنِ الخمرةِ تحديدًا عندما قالَ "فيها"، فأضفى على النَّصِّ الشّعريِّ تخصيصًا. وأسهمَ التّناصُّ هنا بإضفاءِ طابعِ الجِدِّيَّةِ، واستحضارِ الشَّبيهِ الغائبِ، وإحسانِ الظَّنِّ بتمكُّنِ الشّاعرِ وقُدرتِهِ على التَّصرُّفِ في المعاني السَّابقةِ.

نستنتجُ مِمَّا تقدّمَ عرضُه من النّماذجِ الشّعريّةِ عندَ ابنِ المُعتزِّ أنَّ القرآنَ الكريمَ كانَ مرجعًا نصّيًّا أساسيًّا في كثيرٍ من موضوعاتِ شعرِهِ كالغزلِ والوصفِ والزُّهدِ وغيرِهَا. وقد تناصَّ شِعرُهُ بطرقٍ متعدّدةٍ مع النَّصِّ الحكيمِ كما رأينا فهناكَ التّناصُّ باللّفظِ والمعنى، وهناكَ التَّناصُّ باللّفظِ فقط، وهناكَ التّناصُّ المحوَّر ويكون بإضافةِ معانٍ جديدةٍ وفي سياقاتٍ مُبتكرةٍ بطرقٍ إبداعيّةٍ، وذلك التَّعدُّدُ أكسبَ شعرهُ دلالاتٍ قيِّمةً تتَّسمُ بالعفويَّةِ وتثري النَّصَّ ممَّا يزيد من أهميَّةِ شعر ابن المعتزِّ على

[1] – ابن المعتز: **ديوان ابن المعتز**، الجزء الثاني، ص304.

[2] – **سورة الفرقان**: 63.

الصَّعيدِ الفنِّيِّ.

**2- التَّناصُّ في إفاداتِ ابنِ المعتزِّ في شعره من الشِّعرِ العربيِّ:**

ينفردُ كلُّ شاعرٍ بمزايا وسماتٍ تحدّدُ إبداعَهُ وأدبَهُ، إلَّا أنَّ ذلكَ لا يمنعُ من الاستفادةِ من نتاجِ الأدباءِ الآخرينَ السّابقينَ أوِ المعاصرينَ لهُ. وهذا مهمٌّ لإغناءِ لغةِ النّصِّ الشّعريِّ، ونقْلِ هدفِهِ إلى المتلقّي، فالعَودُ إلى التّراثِ كان اعتياديًّا عندَ الشّعراءِ لمنحِ النّصِّ قيمًا جماليّةً.

وتناصُّ شعرِ ابنِ المعتزِّ مع أشعارِ الآخرينَ نوعٌ منَ التَّناصِّ الأدبيِّ. ويُقصَدُ بالتّناصِّ الأدبيِّ؛ تداخلُ نصوصٍ أدبيّةٍ مختارةٍ، قديمةٍ وحديثةٍ، سواءٌ أكانتْ شعرًا أم نثرًا، بحيثُ تكونُ منسجمةً وموظّفةً ودالّةً قدْرَ الإمكانِ على الفكرةِ التي يطرحُها المؤلّفُ، أو الحاجة التي يحسّها ويقدّمها [1].

فالنّصُّ الحاضرُ يُظهِرُ ثقافةَ الشّاعرِ ومدى معرفتِهِ النّصوصَ القديمةَ، كما يُظهِرُ أيضًا ارتباطَ المتلقّي بالأدبِ السّابقِ للأدبِ الذي يدرسُهُ بالوقتِ نفسِهِ، "فالنّصُّ الحاضرُ يتنفّسُ بوساطةِ النّصوصِ الغائبةِ ويحيا بها، ويتكلّمُ بألسنتِهَا، وهوَ لا يتكلّمُ في زمنٍ سابقٍ على زمنِهِ، وإنّما يتكلّمُ من خلالِ سياقِهِ وحضورِهِ وحاضرِهِ" [2].

وقد قسمتُ البحث هنا تبعًا للشعراء الذينَ تناصَّ شعر الشاعرِ مع شعرِهم وذلك بحسبِ الفترة التاريخيَّة إلى محورينِ:

**أ- التَّناصُّ مع الشِّعرِ الجاهليِّ:**

ويمثّلُ شعرُ ما قبلَ الإسلامِ مَعينًا غنيًّا يغرِفُ منهُ الشُّعراءُ الذينَ جاؤوا بعدُ، وتتناصُّ أشعارُهُمْ معهُ. ويُقدِّمُ شعرُ ابنِ المُعتزِّ أمثلةً قويّةً لِلتَّناصِّ مع الشِّعرِ الجاهليِّ. ومن ذلكَ مثلًا استعمالُهُ بعضَ ألفاظِ امرئِ القيسِ [3] (تـ حوالي545 م) في معلَّقتِهِ

---

[1] – ينظر: الزعبي، أحمد: **التناص نظريًا وتطبيقيًا**، مؤسسة عمون للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، عمان–الأردن، 2000م، ص50.

[2] – الموسى، خليل: **قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق–سوريا، 2000م، ص56.

[3] – "هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الأكبر ...بن قحطان، كان يقال له الملك الضليل، ومات بأنقرة من بلاد الروم منصرفًا عن قيصر" الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث (تـ

التي مطلعُهَا:

**قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخـولِ فحَوْملِ**
**فتُوضِحَ فالْمِقراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لما نَسَجَتْـها من جنــوبٍ وشَمْأَلِ**
**وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْـرٍ قطعـتُهُ بِهِ الذئبُ يَعوي كالْخَلــيعِ الْمُعَيَّلِ** [1]

- حيثُ يقولُ ابنُ المُعتزِّ:

**خليلــيَّ باللهِ اقعُدا نصطبــحْ ولا * قِفَا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومَنـزلِ**
**ويا ربِّ لا تُنْبِتْ ولا تُسقِــطِ الحيا بسِقطِ اللِّوَى بينَ الدَّخولِ فَـحَومَلِ**
**ولا تَقْرِ مِقْرَاةَ امرئِ القـيسِ قطرةً منَ الغيثِ وارحَمْ* ساكنِيْهَا بجندَلِ**
**نصيبــيَ منــها للنَّعــامِ وللمَهَى وللذِّئبِ يَعوي كالطَّريــدِ المُوَلْـوَلِ***
**ولكنْ ديــارَ اللَّهْـوِ ربِّ فسقِّـــها ودُلَّ على خَضْرايــِها كُلَّ جـدولِ** [2]

وقدِ استحضرَ ابنُ المعتزِّ شخصيّةَ امرئِ القيسِ، ليعبِّرَ من خلالِهَا عن ثورتِهِ على العاداتِ والتَّقاليدِ العربيَّةِ الأصيلةِ، المتمثّلةِ بالوقوفِ على الأطلالِ، معَ العلمِ بأنَّ ابنَ المعتزِّ منَ الشّعراءِ الذينَ حافظوا على بناءِ القصيدةِ الجاهليّةِ، وأظهرَ ميلَهُ إلى التّراثِ القديمِ في أغلبِ أشعارِهِ. ولكنّا نراهُ هنا يتعمَّدُ السُّخريَةَ في إحدى خمرياتِهِ، ولعلَّ هذا يجسّدُ الحالَ النَّفسيَّةَ التي يعيشها؛ فامرؤُ القيسِ يقفُ على الأطلالِ ويتذكَّرُ المحبوبةَ ويبكي على ديارِها، أمّا ابنُ المعتزِّ فيرفضُ تلكَ الوقفةَ، ويدعو إلى التَّعويضِ

---

حوالي545 م): ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة–مصر، الطبعة الرابعة، (د.ت)، ص7

[1] – ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة–مصر، الطبعة الرابعة، (د.ت) ، ص8–19.

* وردت في كتاب "الأوراق قسم أشعار الخلفاء": بلا، ج3، ص197، والأرجح أنها "بلا"

* وردت في كتاب "الأوراق قسم أشعار الخلفاء": وارجُمْ، ج3، ص198، والأرجح أنها "ارجُم"

* وردت هكذا في كتاب: الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى ت 335هـ: **الأوراق "قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم"**، عني بنشره: ج هيورث دن، المجلد الثالث، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1401هـ/ 1982م،

نصيبي منها للنّعام وللمها ... وللذّئب يعوي كالخليع المعيّل، ج3، ص198

[2] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الثاني، ص290.

عنها بشربِ الخمرةِ الذي اتَّخذَ تغييرًا وتحديثًا للشِّعرِ في العصرِ العبَّاسيِّ.

ونجدُ هنا أنَّ التَّناصَّ ظهرَ باللَّفظِ والمعنى، ولكنْ بموقفٍ مختلفٍ؛ فلعلَّ اعتمادَ ابنِ المعتزِّ على قصيدةِ امرئِ القيسِ هنا كانَ للتَّعبيرِ عن موقفٍ نفسيٍّ كان يعاني منهُ، ولتحفيزِ القارئِ على تأمّلِ الأبياتِ وتحليلِ معانيها، ولأنَّ العربَ على العمومِ يعرفون معلَّقةَ امرئ القيس، فاستعانَ بها الشَّاعرُ ليخلقَ جوًّا محبَّبًا مألوفًا.

- وفي موقفٍ آخرَ يستلهمُ ابنُ المعتزِّ تجربةَ الأعشى [1] (ت570م)، فيأخذُ الشَّطرَ الأوَّلَ في مطلعِ معلَّقتهِ الذي يقول:

**ودّعْ هريرةَ، إنَّ الرَّكْبَ مُرتَحَلُ وهلْ تطيقُ وداعًا أيُّها الرَّجُلُ** [2]

ويضمِّنُهُ ابنُ المُعتزِّ قولَهُ:

**وَقَيْنَةٍ إنْ تَشَأ غنَّتْكَ مِنْ طَرَبٍ: ودّعْ هريرةَ، إنَّ الرَّكْبَ مُرتَحَلُ** [3]

فالمغنِّيةُ إذا أردتَ أطربتكَ بغناءِ قصيدةِ الأعشى التي مطلعُها (ودّعْ هريرةَ، إنَّ الرَّكبَ مُرتَحَلُ)، وهنا يظهرُ التّناصُّ واضحًا. ولعلَّ الشَّاعرَ استحضرَ هذا البيتَ خاصَّةً، ليعبّرَ عن إعجابِهِ بالقصيدةِ وبشعرِ الأعشى، وليدلَّ على ثقافتهِ الواسعةِ، ومدى ارتباطِهِ بالتّراثِ القديمِ ونهلِهِ منه، وربطِ الماضي بالحاضرِ بحفظه للشِّعرِ القديم.

- وفي أبياتٍ أخرى لابنِ المعتزِّ تناصٌّ آخرُ مع شعرِ الأعشى حيث يقولُ ابنُ المعتزِّ:

**ويلي عليكَ ومنكَا طرحتَ في الوصلِ شكَّا**

**زعمتَ أنّي مَلولٌ كِذْبًا عليَّ وإفْكَا**

---

[1] – ميمون بن قيس بن جندل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كثير الوفود على الملوك، غزير الشعر، كان يغني بشعره فسمي (صنَّاجة العرب). عاش عمرًا طويلًا، توفي في قرية اليمامة قرب الرِّياض. ينظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، أيار 2002م، الجزء السابع، ص341.

[2] – الأعشى: ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق: محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة–مصر، الطبعة الرابعة، ص55.

[3] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الأول، ص414.

**تعالَ ندعو عَلى مَنْ يَمَلُّ منِّي ومِنْكَا** [1]

وكانَ قَبْلُ قد قال الأعشى:

**قالتْ هريرةُ لمَّا جئتُ زائرَهـا ويلي عليكَ وويلي منكَ يا رجلُ** [2]

ويتناص شعرُ ابنِ المعتزِّ هنا لفظًا مع شعرِ الأعشى، في قوله: (ويلي عليكَ وويلي منكَ يا رجلُ)، مع إجراء تغييرٍ طفيفٍ يتناسبُ و عدمَ تكرارِ كلمةِ (ويلي)، في قولِهِ:(ويلي عليك ومنكا)، ومعنًى؛ فالأعشى يقولُ: إنَّ حبيبتَهُ هريرةَ قالتْ لهُ عندما زارهَا: ويلي منكَ لعدمِ استفادتي شيئًا منك، وويلي عليكَ لفقركَ، فيمتصُّ ابن المعتزِّ المعنى ويُعيدُ توجيهَهُ ليدلّلَ على الشَّكِّ في وصالِ المحبوبةِ (طرحتَ في الوصلِ شَكّا)، ممَّا أكسبَ النَّصَّ دلالاتٍ جديدةً بإضفائِهِ الدَّفقاتِ الشّعوريَّةِ عليهِ، وورودِهِ بسياقاتٍ جديدةٍ.

**ب- التَّناصُّ مع الشِّعرِ الإسلاميِّ والأمويِّ:**

- وبما أنَّ الشَّاعرَ جزءٌ من المنظومةِ الثّقافيّةِ التي تتلاقحُ عناصُرُها لتوصلنا إلى دلالاتٍ أسلوبيّةٍ في النّصِّ الشّعريِّ تربطُ النَّصَّ الحاضرَ بالنَّصِّ الغائبِ أوِ السَّابقِ نجدُ شعرَ ابنِ المعتزِّ يتناصُّ في قولِهِ:

**لا تأسفنَّ على شيءٍ فُجعتَ به فكلَّما* قدَّرَ الرَّحمنُ مَصنوعُ** [3]

- مع قولِ الشّاعرِ كعب بن زهير [4] (ت645م) في البُردةِ:

**فقلتُ: خلُّوا طريقي، لا أبَا لكمُ فكلُّ ما قدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ** [5]

ونجدُ الشَّاعرَ ابنَ المُعتزِّ يدعونا هنا إلى عدمِ الحزنِ والتَّحسُّرِ لهولٍ أصابنا

---

[1] – المصدر نفسه، الجزء الأول، ص400.

[2] – الأعشى، **ديوان الأعشى الكبير**، ص57.

* هكذا وردت وأظنُّ أنَّها: كلُّ ما.

[3] – ابن المعتز: ديوان أشعار الأمير، الجزء الثاني، ص406.

[4] – كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. له ديوان شعر مطبوع، من أعرق الناس في الشعر. ينظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، الجزء الخامس، ص226.

[5] – ابن زهير، كعب: ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،1417هـ/ 1997م، (د.ت)، ص65.

لأنَّ كلَّ شيءٍ يصيبُنَا هوَ من صُنعِ اللهِ وتدبيرِهِ، وما علينا إلَّا الرِّضى بقضائِهِ وقَدرِهِ.

نلاحظُ التَّناصَّ بينَ بيتِ ابنِ المعتزِّ وبيتِ كعب بن زهير، فقدْ تناصَّ البيتانِ في اللَّفظِ والمعنى، واستعملَ ابنُ المعتزِّ في الشَّطرِ الثَّاني الألفاظَ ذاتَها التي استعملَها كعب بن زهير في البُردةِ، عندما جاء تائبًا معلنًا إسلامَهُ بينَ يدي رسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ بعد أن تحدَّثَ عن ظهورِ الوشاةِ الذين كانَ همُّهم تثبيطَ همَّتِهِ.

وتبدو المماثلةُ اللُّغويَّةُ واضحةً بينَ الشَّطرينِ، كما تبدو المغايرةُ الدِّلاليَّةُ من خلالِ لفظةِ (مصنوع) في بيت ابنِ المعتزِّ، في حين استعملَ كعب بن زهير لفظةَ (مفعول). وفي هذا الاستحضارِ لقصيدةِ البُردةِ يقصدُ ابنُ المعتزِّ تقويةَ الحجّةِ والبرهان لرأيه باستعانتِهِ ببيتٍ مشهورٍ، وهذا يؤدِّي إلى التَّأثيرِ بالمُتلقِّي وجذبِ انتباهِهِ.

- يقولُ ابنُ المعتزِّ:

**ويا حبّذَا البيتُ الذي لا أزورُهُ وآتي بيوتًا غيرَهُ، وأُجانِبُه** [1]

فنجدُ شعرَ ابنِ المعتزِّ يتناصُّ بالمعنى دونَ اللَّفظِ مع بيتينِ مشهورينِ لقيس بن الملوّحِ الملقَّب بمجنونِ ليلى [2] (ت688هـ)، يقولُ فيهما:

**أَمُرُّ عَلى الدِّيــارِ دِيارِ لَيلى أُقَبِّلَ ذا الجِدارَ وَذا الجِـدارا**

**وَما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفنَ قَلبي وَلَكِن حُبُّ مَن سَكَنَ الدِّيارا** [3]

فابنُ المعتزِّ هنا مقلّدٌ للموروثِ الأدبيِّ، ولكنْ بكلماتٍ مختلفةٍ، فقدِ استلهمَ الفكرةَ من اطّلاعِهِ ومعرفتِهِ بالشّعرِ السّابقِ عليهِ، وأعادَ طرْحَها بطريقةٍ جديدةٍ، فالعاملُ المشتركُ بينَ قيسٍ وابنِ المعتزِّ هو محبَّتهما لكلِّ شيءٍ يخصُّ المحبوبةَ، وأهمُّ هذهِ الأشياءِ وأولاها محبَّةً هوَ البيتُ الذي تسكنُهُ؛ فقد عبَّرَ ابنُ المُعتزِّ عن محبَّتِهِ للبيتِ

---

[1] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الثاني، ص45.

[2] – "قيس بن الملوح بن مزاحم العامري: شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنونًا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب (ليلى بنت سعد)". الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، الجزء الخامس، ص208.

[3] – لم أجد هذين البيتين في ديوان الشاعر وإنما وجدتهما في كتاب، البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي**، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418 هـ – 1997 م، منسوبان لمجنون ليلى، الجزء الرابع، ص227-228.

الذي حُرِمَ من زيارتِهِ لدرجةِ أنَّهُ يزورُ بيوتًا بجوارِهِ، ولكنَّ قلبَهُ يظلُّ معلّقًا بذلكَ البيتِ الذي لا يستطيعُ إتيانَهُ.

وقد رفضَ ابنُ المعتزِّ الإفصاحَ لنا عن محبوبتِهِ وعنِ البيتِ الذي يحبُّهُ وتركَ التعبيرَ عنهما، في حين نجدُ قيسًا يصرّحُ بأنَّهُ يمرُّ على منازلِ ليلى، ويذكرُ اسمَ حبيبتِهِ التي عُرِفَ بها " رُوِيَ أنّه كَانَ إذا اشْتَدَّ شوقه إِلَى ليلى يمرّ على آثَار الْمنَازل الَّتِي كَانَت تسكنها فَتَارَة يقبّلها وَتارَة يلصق بَطْنه بكثبان الرّمل، ويتقلّب فِي حافاتها وَتارَة يبكي وينشد هذَيْن الْبَيْتَيْنِ" [1]. ويُتبِعُ قَيسٌ فكرتَهُ بحصرِ حبِّهِ بالمحبوبةِ لا بالبيتِ الذي تسكنُهُ، أمَّا ابنُ المعتزِّ فيكتفي بالإشارةِ إلى حبّهِ للبيتِ دونَ التَّطرُّقِ لذكرِ المحبوبةِ. ولعلَّ استحضارَ أبياتِ مجنونِ ليلى كانَ لإبرازِ شوقِ ابنِ المعتزِّ وحنينِهِ لتلكَ المحبوبةِ وللتَّعبيرِ عن حبِّهِ بالاستعانةِ بالذَّائقة الأدبية لديهِ.

- ونراهُ في موضعٍ آخرَ يستدعي بيتًا لقيس بن الملوح أيضًا، فيقولُ:

**قالوا: جُننتَ بمَن تهوى، فقلتُ لهم: ما لذَّةُ العيشِ إلَّا للمجانين** [2]

ونلاحظُ هنا أنَّه يتناصُّ وَبيتٍ مشهورٍ لمجنونِ ليلى يقولُ فيهِ:

**قالوا: جُننتَ على رأسي، فقلتُ لها: الحبُّ أعظمُ ممَّا بالمجانينِ** [3]

فقد أعطى لشعرِهِ قيمةً جماليّةً بارتباطِهِ بهذا البيتِ المعروفِ للجميعِ. فقيس جُنَّ بحبِّ ليلى ابنةِ عمّهِ، وعندما لامَهُ النَّاسُ على هذا الحبِّ الشَّديدِ الذي وصلَ إلى درجةِ الجنونِ، سُئِلَ عن سبب ذلكَ الهيامِ، فأخبرهُم بأنَّ أجملَ ما في الحياةِ هوَ الجنونُ بالمعشوقِ وحبُّهُ لهذهِ الدَّرجةِ. وقد تناصَّ شعرُ ابنِ المعتزِّ كما رأينا في اللَّفظِ والمعنى مع بيتِ مجنونِ ليلى. ومن الملاحظِ أنَّ ابنَ المعتزِّ أغفلَ ذِكرَ مَنْ يَهوى، فجاءَ بالاسمِ الموصولِ وما يحملُهُ مِن إبهامٍ.

ونلاحظُ أنَّ الشَّاعرَينِ اتَّفقَا في اللّفظِ والأسلوبِ والمعاني، ليؤكّدَا أنَّ الأمانَ

---

[1] – البغدادي: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، الجزء الرابع، ص228.

[2] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الأول، ص428.

[3] – ابن الملوح، قيس: **ديوان مجنون ليلى**، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت)، ص281.

والارتياحَ والاطمئنانَ والرَّاحةَ النَّفسيَّةَ والظَّفرَ بمَن تحبُّ بعدَ الامتناعِ هيَ أشياءٌ يستحقُّها المحبُّ لدرجةِ الجنونِ.

ويظهرُ تناصُّ اللفظِ والمعنى واضحًا جليًّا في أشعارِ ابنِ المعتزِّ، فهوَ يُفيدُ من تجاربِ مَن سبقهُ وأشعارِهم ويستلهمُهَا ويسعى إلى إخراجِهَا بطريقتِهِ الخاصَّةِ بعدَ أن تشرَّبَها، واستقرَّتْ في أعماقِهِ، ومن أمثلةِ ذلك التَّناصِّ قولُهُ:

**يا صاحِ، يشغلُ سَمْعِي عن عَوَاذِلِهِ قَرْعُ الكُؤوسِ بأفْواهِ القَواقِيْزِ** [1]

ونجدُ هنا تناصًّا واضحًا في هذا البيتِ مع الشَّاهدِ النّحويِّ المعروفِ للأقيشرِ الأسديِّ [2] (ت80هـ):

**أفنى تِلادي وما جمَّعتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ أفواهَ الأباريقِ** [3]

فابنُ المعتزِّ يخاطبُ خليلَهُ وصاحِبَه ويخبره بأنَّهُ منشغلٌ عنِ الذي يلومُهُ، والذي يشغلُهُ هو شربُ الخمرةِ. أمَّا الأقيشرُ الأسديُّ فقد ذكرَ الخمرةَ في معرضِ ذمٍّ لها، فهيَ السَّببُ في ذهابِ أموالِهِ التي جمعها في حياتِهِ، وهيَ التي أوقعتْهُ في خسارةٍ ماديّةٍ كبيرةٍ. وواضحٌ أنَّ ابنَ المعتزِّ قد عكسَ الفكرةَ التي رسمَها الأقيشرُ، فاحتساءُ الخمرِ عندَهُ لهُ نتائجُ إيجابيّةٌ.

ولعلّنا لاحظنَا أنَّ تأثرَ ابنِ المعتزِّ بمَنْ سبقَهُ كانَ بالألفاظِ والتَّراكيبِ والدِّلالةِ، وقد طوَّعها لخدمةِ غرضِهِ الشِّعريِّ، فحقَّقَ بذلكَ ما أرادَ.

**نتائج البحث:**

**1**- أنَّ القرآنَ الكريمَ والشّعرَ العربيَّ معينانِ لا ينضبانِ لشعراءِ الأعصرِ اللاحقةِ، وقد شكَّلا رافدًا مهمًّا من روافدِ شعرِ ابنِ المُعتزّ، وأسهمَا في الكشفِ عن شعريّةِ

---

[1] – ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير**، الجزء الثاني، ص268.

[2] – المغيرة بن عبد الله بن مُعرض الأسدي، أبو معرض: شاعر هجَّاء عالي الطبقة. من أهل بادية الكوفة. ولد في الجاهلية وأدرك الإسلام. والأقيشر لقبٌ لقبَ به لحمرة وجهه. ينظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، الجزء السابع، ص 277هـ.

[3] –الأسدي، الأقيشر(ت80هـ): **ديوان الاقيشر الأسدي**، صنعة: محمد علي دقّة، دار صادر، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ص95. التلاد: المال القديم. والنشب: الثابت من الأموال، كالدور والضياع، والقواقيز: جمع قاقوزة وهي إناءٌ يُشربُ به الخمر.

النَّصِّ.

**2**- جاءَ التَّناصُّ مع القرآنِ الكريمِ في شعرِ ابن المعتزِّ ليظهرَ وعيَهُ القرآنَ الكريمَ وإلمامِهِ بتفسيرِهِ ودراستِهِ، ممَّا أدّى إلى انعكاسِ ذلكَ في شعرِهِ شكلًا ومضمونًا.

**3**- لجأ الشّاعرُ إلى مجموعةٍ من القصائدِ بوعيٍ منه أو بدون وعيٍ محوِّرًا بعضَ معانيها ودلالاتِها، ممَّا دلَّ على درايةٍ واسعةٍ بالشِّعر الذي سبقه وبالشِّعر المعاصر له.

**4**- أثبتتِ الدِّراسةُ أنَّ ثقافةَ الشَّاعرِ كانتْ واسعةً من خلالِ قدرتِهِ على إغناءِ تجربتِهِ الشِّعريَّةِ بما يناسبُها.

**5**- كان لابن المعتزِّ فِكَرٌ ومعانٍ خاصَّةٌ أضافها إلى معاني النُّصوصِ التي سبقتْهُ من خلالِ ما أوردَهُ من تناصَّاتٍ بطريقةٍ مباشرةٍ أو غيرِ مباشرةٍ كما جاءتْ في البحث.

## المصادر والمراجع


1. **القرآن الكريم.**
2. ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي**، تح: محمد بديع شريف، دار المعارف، مصر،1977م.
3. ابن الملوح، قيس: **ديوان مجنون ليلى**، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت).
4. ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت456هـ: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة 1401هـ-1981م.
5. ابن زهير، كعب: ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،1417هـ/ 1997م.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي(ت1393هـ): **التحرير والتنوير** (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من كتاب الله المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

7. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
8. الأسدي، الأقيشر(ت80هـ): **ديوان الاقيشر الأسدي**، صنعة: محمد علي دقّة، دار صادر، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1997م.

9. الأعشى: ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق: محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة–مصر.
10. بارت، رولان: **نقدٌ وحقيقةٌ**، ترجمة: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاريِّ، المغرب، الطّبعة الأولى 1994م، ص24–25
11. البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي**، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418 هـ – 1997 م.
12. جربوع، عزّة: **التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر**، مجلة فكر وإبداع، مصر، العدد 13.
13. الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء**، تحقيق: د. إحسان عباس، ط1 بيروت، دار الغرب الإسلامي 1993م.
14. خفاجي، محمد عبد المنعم: **ابن المعتزّ وتراثه في الأدب والنقد والبيان**، مكتبة الحسين التجارية، الطبعة الأولى، 1949م.
15. الدارمي، مسكين: **ديوان مسكين الدارمي** (ت89هـ)، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العطية، مطبعة دار المصري، بغداد–العراق، الطبعة الأولى، 1970م.
16. داوود كاك، عبد الفتّاح: **التّناصّ دراسةٌ نقديّةٌ في التّأصيلِ لنشأةِ المصطلحِ ومقاربته ببعض القضايا النّقديّة القديمة**، دراسة وصفيّة تحليليّة، (د.ت).
17. الزركلي، خير الدين: **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، الطبعة الخامسة

عشرة، أيار 2002م.

18.الزعبي، أحمد: **التناص نظريًا وتطبيقيًّا**، مؤسسة عمون للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، عمان–الأردن، 2000م.

19.الزَّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (تـ538هـ): **الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، لبنان–بيروت، الطبعة الثالثة، الجزء الرابع، 1407هـ.

20.الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (تـ 335هـ): **الأوراق "قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم"**، عني بنشره: ج هيورث دن، المجلد الثالث، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1401هـ/ 1982م.

21.كرستيفا، جوليا: **علم النّصّ**، ترجمة: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، الطّبعة الثّانية، دار طوبقال للنّشر، الدّار البيضاء–المغرب، 1997م.

22.الكنديّ، امْرُؤُ القيس بن حجر بن الحارث (ت حوالي 545 م): **ديوان امرِئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة–مصر، الطبعة الرابعة، (د.ت).

23.مجمع اللّغة العربيّة: **المعجم الوسيط**، الطّبعة الثّالثة، القاهرة–مصر،1993م.

24.مرتاض، عبد الملك: **فكرة السّرقات الأدبيّة ونظريّة التّناصّ**، مجلّة علامات، جدّة–السّعوديّة، المجلّد الأوّل، أيّار 1991م.

25.الموسى، خليل: **قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق–سوريا، 2000م.

26.يقطين، سعيد: **انفتاح النّصّ الرّوائيّ–النّصّ والسّياق–**، المركز الثّقافيُّ العربيُّ، الدّار البيضاءُ–المغرب، الطّبعة الثّالثةُ، 2006م.